المُغالطة في القراءات التّأويليّة للنّص القرآني

م .د جاسم فريح دايخ التّرابي

الكليّة الإسلاميّة الجامعة – النجف الاشرف

توطئة

إنّ علم التّأويل نشأ نتيجة الصّراعات الحادّة بين المسلمين في مسألة الإمامة , ومنها تفرّعت الخلافات حول مسائل كثيرة , كان مجمل تلك المسائل ينبعث من إمكان الوقُوف عند النّص الدِّيني , أم بما يخالف ذلك الباطن باستعمال التأويل ,ممّا أدَّى إلى اختلاف وُجهات النّظر المُتفاوتة ,ومن تلك المشكلات :مسألة الذات ,والصفات, الجبر والاختيار ,السّمع والعقل وغيرها.

وكان القرآن الكريم التّطبيق العملي لتلك الرّؤى وساحة للصّراع الفكري بين أنصار ظاهر اللفظ وأنصار جواز التّأويل ,وما ترتَّب عن ذلك من صراع عقيدي فيما بين المسلمين, وكان مبعثه الخلفيّة السّياسيّة المُتعصِّبة , ممّا اضطرَّ البعض إلى المُغالطة والتّحريف , اللّذين أفادا من علمي الكلام والجدل في الرأي , وقد تكون تلك المغالطة بقصد أو بغير قصد , وهو في كلتا الحالتين خلل وعيب يزري بالفاعلية الحِجَاجيّة والاستدلالية, فمن المناسب الإحاطة بمظاهر المغالطة حتى يؤمن العِثار وتحديد مراكز الغلط في التفكير ولاسيما إذا كان مجال هذا الاستدلال في قراءة النص الديني , تحاول هذه الدراسة استقصاء مظاهر المغالطة في قراءة النص القرآني عن طريق الملمس التأويلي الذي يمثل أرض خصبة لاستعمال الحجاج المغالطي.

ومن المتسالم أنَّ كلَّ قضيةٍ بحثيّةٍ تحتاج إلى مُقدمات تأسيسية لتحديد المُصطلحات الأساسية التي يتضمّنها العنوان , فلا بُدَّ من التزود منها بحصيلةٍ معرفيّة وافيّةٍ تُتيحُ السّير الواعي في مناكبها؛ ذلك بأنّ لكلّ فنٍّ أو علم أبواباً مُوصدةً بوجه من يروم الولوج إلى ساحته والنّهل من معارفه من غير أن يُهيّئ المفاتيح اللازمة لذلك , وما المصطلحات العلمية لذلك العلم أو الفن إلّا بمنزلة تلك المفاتيح التي لا بُدّ منها للعبور إلى الجانب الآخر.

ماهيّة المُغالطة

منذ أطلّ الإنسان على العالم بنظره , ورأى الأشياء , عَلِمَ بعلم فطري أنّ في الكون دياراً سواه , وأنّ في صحيفة الوجود موجوداً غيره , وأنّ وراء نفسه وتصوّراته , حقائق ثابتة , وأنّ الجو مملوء بالموجودات العظيمة والأرض تحتوي على كائنات لا تحصى ... عَلِمَ هذا بعلم بسيط ضروري بحيث لا يعتريه شك ولا يشوبه ريب, وعلى الرغم من هذا المنطلق ظهرت الآراء المشتّتة بين الفطاحل الأعلام في الأبحاث الفلسفيّة فيما يتعلق ببدء العالم ونهايته , وموجده وغرضه , وهذه الطائفة بما كان لهم البساطة في الفهم لمّا وقفوا على الآراء المختلفة في الأبحاث العلمية والفلسفية ورأوا أنّ كل طائفة تحظِّىء أُخرى وترد براهينها وشاهدوا أنّ التشاجر والتنازع لم يزل قائماً على ساقيه لا يقف على حدّ فلا ينقطع البحث ولا يصل إلى غايةٍ , بل كلّما اتّسع نطاق البحث والجدال ,اتّسعت دائرة الخلاف(1).

وهذا التبسّط والتكثير في الآراء من جانب وبساطة إفهام القوم تمييز الصحيح منها عن الزّائف من جانب آخر, جعل أفهامهم حيارى والعقول صرعى فأحدثوا مسلكاً خاصّاً في تحليل الحقائق وهو مسلك (المغالطة) , والمراد منه : (قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق , ويسمى سفسطة . أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ويسمى مشاغبة)(2),وهو فاسدٌ,إمّا من جهةِالصّورة (التّأليف بين المقدمات) ,أو من جهة المادة (المقدمات)(3).

فمن جهة الصورة , بأنّ لا يكون القياس على هيأة منتجة لاختلال شرط معتبر فيه, إنّ من حيث الكم , أو الكيف , أو الجهة ؛ كأن تكون كبرى الشكل الأول جزيئة في حين يجب أن تكون كلية : موجبة أو سالبة ؛ أو تكون صغراه سالبة , أو ممكنة , في حين يجب أن تكون سالبة (4).أمّا من جهة المادة , فبأن يكون المطلوب وبعض مقدماته شيئاً واحداً , لكون الألفاظ مترادفة , وهو : المصادرة على المطلوب (5).

مثال على ذلك

كل إنسان	بشر	مقدمة صغرى
وكل بشر	عاقل	مقدمة كبرى
فكل إنسان	عاقل	نتيجة

مثال آخر:

كل بُرّ	قمح	مقدمة صغرى
وكل قمح	يؤكل	مقدمة كبرى
كل بُرّ	يؤكل	نتيجة

كما تتأتى المغالطة من بعض المقدمات الكاذبة الشبيهة بالصادقة , إما من جهة اللفظ أو من جهة المعنى(6). مثال على ذلك:

أ- من جهة اللفظ : كقولنا عن صورة مرسومة في لوحة :

هذه الصورة	حصان	مقدمة صغرى
وكل حصان	صهال	مقدمة كبرى
فهذه الصورة	صهالة	نتيجة

ب-من جهة المعنى مثال على ذلك

كل إنسان وقرد	إنسان	مقدمة صغرى
وكل بشر وقرد	قرد	مقدمة كبرى
فبعض إنسان	قرد	نتيجة

أسباب الغلط اللفظية

الأسباب اللفظية للغلط تكون من جهة اللفظ المفرد تكون من جهة اللفظ المفرد أو من جهة اللفظ المركب:

- **اللفظ المفرد** : ويمكن أن يقع الغلط فيه من ثلاث جهات , فقد يقع الغلط بسب الاشتراك في جوهر اللفظ المفرد , بأنْ يكون اللفظ صالحاً للدلالة على أكثر من معنى , كلفظ عين , أو بسب الاشتراك في هيأة اللفظ المفرد , وهي على قسمين :

أ- **هيأة اللفظ الذاتية** : فيما إذا تتعدد اللفظ من جهة تصريفه , مثل كلمة (المختار) فهي تصلح ؛ لأنّ تكون اسم فاعل واسم مفعول(7) .

ب–**هيأة اللفظ العرضية** : وهي الهيئة العارضة على الحروف , كالحركات والتنقيط على الحروف , فمثلاً في الخبر :**(الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فُطِنٌ)** (8),و(يمكن قراءة كل(كيّس) مع تشديد الياء أو بدونها , وكلمة فطن بنقطة واحدة في الحرف الأول أو نقطتين)(9).

- **اللفظ المركب**

ويمكن أن يقع الغلط فيه من جهتين:

أ– أن يعرض الاشتراك للمركب باعتبار التركيب نفسه , وأبرزه ,مسألة إرجاع الضمائر , كقول ابن الجوزي (ت597هـ) لمَا سُئِلَ عن أقرب الصحابة لرسول الله (صلى الله عليه وآله), قال :(من كانت ابنته في بيته)(10).فيحتمل أن يكون الضمير في (ابنته) عائداً إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم), فيكون معنى القول : الذي بنت رسول الله في بيته , فينطبق على علي أمير المؤمنين (عليه السلام) , ويحتمل أن يكون الضمير في بنته عائداً إلى الاسم الموصول (مَنْ) , فيكون معنى القول الذي ابنته في بيت الرّسول , فينطبق على أبي بكر وعمر !!.

ب–أن تحصل المغالطة بسبب توهم وجود تأليف , وذلك بأن يكون الكلام صادقاً إذا أخذ مفرداً , وكاذباً إذا أخذ مركباً , كما لو كان زيداً إنساناً جيداً , وكان شاعراً كذلك , ولكن شعره رديء , فيمكن أن يقال زيد جيد , وزيد شاعر وكلاهما صحيح , ولكن لو رُكِّب بينهما بأنَّ يقال : زيد شاعر جيد , كان غلطاً(11).

أسباب الغلط المعنوية

ومن ذلك:

أ– **إيهام العكس** , وهو أن يقع الغلط في التأليف بين جزئي القضية , مثل من يحكم بأن (كل أبيض ثلج) , باعتبار صحة :(كل ثلج أبيض)(12).

ب–**المصادرة على المطلوب**, وهو أن يقع الخلل في المقدمات بملاحظة النتيجة باعتبار أنّها عين إحدى المقدمات (13), وهذا يتفق إذا كان الحدّ الأوسط بعينه هو الحد الأصغر أو الحد الأكبر , كقولنا : (الإنسان بشر, وكل بشر ضاحك, فكل إنسان ضاحك)(14).

مكامن المغالطة في البُعد التأويلي

المعنى

يُعدُّ الاهتمام بالمعنى محطَّ عناية العلماء ولاسيما المتكلمون منهم ؛ لأنّهم وجدوهُ متكأ وافراً للاستدلال على صحَّة معتقدهم من خلاله, وإبطال أدلّة الخصوم أيضاً , ولِمَا يتمتّع به من مرونةٍ , فهو يضيق ويتّسعُ, ويُطلق ويُحدّد, ويحجر ويتحرّر , ويُجمل ويفصَّل , ويُعمَّمُ ويُخصّصُ ,ويحملُ على ظاهرهِ ويؤوَّل ,ويُحملُ على اللفظ ويحملُ اللفظ عليه, ويُستفادُ من مجموعه وبعضه , ويوجَّه ويُعاد توجيهُهُ(15).وكانت للمغالطة محلٌّ في تأسيس تجليات للتأويل بحسب المعنى. ومن تلك التجليات:

أ- الحمل على المعنى

هو من الأساليب المهمة في التأويل ؛ إذ يبدأ من الأحكام التي أخذت من القاعدة اللغوية ومحاولة إسباغها على النص معتمداً على بعض القواعد التي تنظم العلاقة بين النص والقاعدة لتعطي أثرها في مجال التطبيق(16).

وقد أوضح ابن جني ذلك بقوله: (اعلم أنَّ هذا الشرج غورُ من العربية بعيد ومذهب نازح فسيح , وقد وَرَدَ به القرآن , وفصيح الكلام منثوراً , ومنظوماً كتأنيث المذكر , وتذكير المؤنث, وتصور معنى الواحد في الجمع , والجماعة في الواحد , وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول , أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً, وغير ذلك)(17).

وكان الحمل على المعنى من أهم الأسس التي اتكأ عليها العلماء في الحفاظ على الأصول سالمةً من النقض, ومن الشواهد على ذلك :(الحمل على ظاهر المعنى), إذ يقرّر أحمد الإسكندري (ت683هـ) أنّ الاشاعرة :(متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع)(18), وأنّه يجب عندهم (ألا يفتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد ؛ لئلا يتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة)(19).

ويتبيّن من خلال الكلام هذا أن الأشاعرة استثمروا مغالطة (المُنْحَدر الزّلاّق) (Slppery Slope),التي مفادها : ادّعاء الفرد لزوم وقوع حدث ما , كنتيجة لحدث أخر دون أن يدلّل على ذلك بحُجج مقبولة (20).ومن الأمثلة الموضحة لذلك:(إنّ طبع الكتب الدينية , يؤدي إلى انتشار الأفكار المتشددة , وهو ما يتسبب في تفاقم ظاهرة الإرهاب , لذلك أجد نفسي معارضاً لهذا الأمر)(21).

ومن شواهد الحمل على المعنى وتأويله في قوله تعالى((**كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوب الْمُجْرِمِين**))[الشعراء200],اكتفى البيضاوي (ت 685هـ) بذكر مرجعين اثنين للضمير في (سَلَكْنَاهُ) فقال : (والضمير للكفر المدلول عليه بقوله"**مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**" فتدل الآية على أنه بخلق الله , وقيل للقرآن أي : أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه , ثم لم يؤمنوا به عناداً)(22).

واختار الشّهاب الخفاجي(1069هـ) الأول؛ أي عود الضمير إلى الكفر , قال : (لقرب مرجعه لفظاً ومعنى , وجعله للبرهان عليه قوله ((**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً**))[الشعراء 197] بعيد لفظاً ومعنى . وأما رجوعه للقرآن وإن خلا عن تفكيك الضمائر فبعيدٌ؛ لأنّ كونه مسلوكاً في قلوبهم خلاف الواقع من أنّ الأول , لكونه مبنياً على مذهب أهل السنة , أقوى وأشد مناسبة لما بعده؛ فلا وجه لما قيل إنّه لا وجه لتمريضه مع أنه أقوى روايةً؛ لأنّه تفسير ابن عباس (رضي الله عنهما))(23).

في حين نجد مرجع الضمير في (**سَلَكْنَاهُ**) اقتصر فيه الزّمخشري على (التكذيب) مع حرصه الملحوظ على إيراد الوجوه المتعددة فيما يتصل بالتفسير وإن تعارضت مع مذهبه ؛ لأنّه يوردها ويتناولها بالنقض والرد . وسياق الآيات بدءاً من قوله تعالى :((**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[الشعراء 192] يؤيده .ولا معنى لقول الشهاب أنّ رجوعه إلى (القرآن) تفكيك للضمائر , وهو- أي الشهاب- قد أماط اللثام عن أن عود الضمير إلى (الكفر) يناسب مذهب الأشاعرة, بل هو الأنسب ؛ ليتفق مع أصلهم في خلق الله تعالى للهدى والضلال خلافاً للمعتزلة.وهنا نؤكد أنّ الضمير في حال عوده للقرآن أو الكفر وجه من وجوه التأويل , والوجه الآخر هو إسناد التكذيب به (القرآن) أو خلقه (الإضلال) لله تعالى . ولا شك أنّ التعبير ((**سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**)) من المجاز , وهو ما لا خلاف فيه .وهكذا يتبين كيف استعانوا بمغالطة عود الضمائر التي تُعدُّ من المغالطات التي تدخل في هيأة اللفظ الذاتية وهي ما تسمى بمغالطة (الممارة)(24).

ب-متعلق الدلالة

إنَّ معرفة العلاقة بين صيغة النظم وصورة المعنى كانت هدف علماء العربية على اختلاف مشاربهم نحاة وبلاغيين ومفسرين فوقع هذا الباب في أخص مباحثهم ؛ إذ إن من أقوم الطرق في الوقوف على معاني القرآن الكريم , وتبيين أغراضه ومعانيه هي علم التراكيب الذي هو فرع من فروع علم الدلالة العام , وهو الوسيط المعرفي الأول لاستنطاق الدلالة مما يتعلق آخر الكلام فيها

بأوله. وعلم التراكيب هو المسؤول عن الوصول بالمعنى المنطقي ؛ فإذا تقاصرت أدواته النحوية أو المعجمية عن ذلك لجأ المفسر إلى أدوات أخرى منها التأويل في صور المعنى المحتملة ,وعلى هذا المؤوِّل أن يكون متمكناً من دراسة أساليب النظم القرآني وفهم دلالات الألفاظ والصيغ وأنواع الدلالة والسياق.

ويجد التأويل فضاء رحباً في علوم كالعقيدة والتفسير وأصول الفقه والبلاغة والكلام ؛ فإذا جمع هذه العلوم أو جلها من يتعرض لمعاني النص القرآني فقد استحكمت آلته المؤهلة للتفسير أو للتأويل ,ومن المسائل التي وقع فيها خلاف مفهوم الإيمان وهي من المسائل الخلافية التي ظهرت مبكراً بين المعتزلة من جهة والأشاعرة والماتريدية من أهل السنة من جهة أخرى ؛إذ يعتقد الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة أنّ الإيمان يعني التصديق , وهو أمر قلبي , وأنّ العمل ليس داخلاً في مفهوم الإيمان , وهو على هذا يزيد ولا ينقص, وهو رأي الجهمية مع فارق بسيط هو أنّه لا يزيد ولا ينقص , على حين يعتقد المعتزلة وبقية أهل السنة أنّ العمل يدخل في الإيمان , وأنّه يزيد وينقص(25).

ولذلك يذهب الأشاعرة أنّ تعريف الإيمان يكمن في :(أنّ الموحدَ لله الذي لا خلل في عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر , وهذا هو الصحيح لغةً وشرعاً ؛ أما لغةً فإن الإيمان هو التصديق , وهو مصدق , وأما شرعاً فأقرب شاهد عليه هذه الآية ((**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**)) [البقرة /3] فأنّه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دلّ على أنَّ الإيمان معقول بدونه , ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكراراً)(26).

إنّه بذلك يرد على الزمخشري تعريفه للإيمان الذي عرّفه الزمخشري بقوله: (فإن قلت ما الإيمان الصحيح ؟ قلت : أن يعتقد الحق , ويعرب عنه بلسانه, ويصدقه بعمله , فإن أخلَّ بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق , ومن أخلَّ بالشهادة فهو كافر , ومن أخل بالعمل فهو فاسق)(27).

ومن البديهي في ضوء اختلاف مفهوم الإيمان بين الفريقين ألا يلقى هذا التعريف قبول الإسكندري فيتعقبه بقوله :(وانظر حيلة الزمخشري على تقريب معتقده من اللغة بقوله : (المؤمن من اعتقد الحق , وأعرب بلسانه , وصدقه بعمله , فجعل التصديق من حظ العمل ؛ حتى يتم له أن من لم يعمل فقد فوت التصديق الذي هو الإيمان لغة, ولقد أوضحنا أن التصديق إنّما هو بالقلب, ولا يتوقف

وجوده على عمل الجوارح ,مما يحقق معتقد أهل السنة أن من آمن بالله ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق , وإن لم يعمل)(28). فالحيلة التي أشار اليها الإسكندري في تعقبه الزمخشري هي ضربٌ من ضروب المغالطة .

ج- المشترك اللفظي

معناه : اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر على سبيل الحقيقة أو المجاز (29).ومن ذلك قوله تعالى ((**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**))[القيامة22-23], استند إليها أبو الحسن الأشعري لجواز رؤيته تعالى في الآخرة , قال : (يعني : رائية) , واستدلّ بأنَّ(النظر إذا ذكر مع الوجه , فمعناه : نظر العينين اللتين في الوجه , ولا يصحُّ أن يراد نظر: الانتظار والتوقّع , كما زعمه أهل الاعتزال , إذ نظر الانتظار لا يُقرن بإلى ...)(30) ولشناعة هذا الرأي , حاول الأستاذ الشيخ محمد عبده تأويله بإرادة كمال المعرفة بالذات(31), ولكنَّها محاولة من دون جدوى بعد صراحة كلام الأشعري في الرؤية بالبصر , وعنون مقالة : بإثبات رؤية الله بالأبصار, لا بالبصائر .(32)

والذي يبطل قوله هو أنَّ ما استدلّ به لا يتوافق مع اللغة , فهنالك في الشعر العربي الجاهلي ما يناقض حجّته , قال الشاعر:

وجوه يوم بكر ناظرات إلى الرحمان تنتظر الفلاحا(33)

فجاء النظر مذكوراً مع الوجه ومقروناً بإلى , مراداً به الانتظار والتّوقّع .

وذكر الزمخشري في تأويل هذه الآية :(تنظر إلى ربَّها خاصَّة لا تنظر إلى غيره , وهذا معنى تقديم المفعول ؛ ألا ترى إلى قوله ((إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ))[القيامة / 53]..... كيف دلَّ فيها التقديم على معنى الاختصاص, ومعلوم أنّهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر , ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلُّهم , فإنَّ المؤمنين نظَّارة ذلك اليوم ؛ لأنّهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه مُحالٌ ؛ فَوجب حملُهُ على معنى يصحُّ معه الاختصاص , والذّي يصحُّ معه أن يكون من قول النّاس : (أنا إلى فُلان ناظرٌ ما يصنع) تريد معنى التوقّع والرّجاء , ومنه قول القائل :

إذا نظرت إليك من ملكٍ والبحرُ دونك زدتني نعما(34)

وذكر جار الله الزمخشري : (أنَّ جارية سرويّة كانت تستجدي بمكّة وقت الظهر, حين غلق النّاس أبوابهم ,وأووا إلى مقائلهم , تقول : عُيينتي نُويظرة إلى الله وإليكم , تتوقّع فضل ما عندهم)(35) .

وحَمَلَ الزمخشري النَّظرَ على الانتظار في هذا السّياق واعتمد على الاختصاص المُستفاد من التقديم في (إلى ربها) والذي ذكر له عدداً من الشواهد في القرآن يجبُ على معنى صحيح ؛ لأنَّ المؤمنين يرون أشياء كثيرةً , فكيف يقعُ الاختصاص بالرُّؤية البصرية لذات الله تعالى ؟ لذلك يجب أن يكون الاختصاص محمولاً على معنى آخر يراه الزمخشري التّوقُّع والرّجاء لثواب الله. وأنَّ معنى (ناظر) المُفيد للتَّوقُّع والرجاء مُعدَّى بإلى واقعٌ في كلامهم , ويقول مخالفو هذا الرأي بأنّه شاهدٌ مجهول النّسب , ودعاء مستجدية سمعها بمكة .

د.التأويل المفرط

نجد في بعض ملامح التأويل عند المتصوفة مجالاً رحباً لاستعمال مكامن المغالطة فهي أشبه بتخرّصات هزيلة , لا يمكن زنتها على مقياس الاعتبار ,ومن ذلك تأويلات ارتكبها محيي الدين ابن عربي ملء كتبه (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم).

من ذلك في كتابه (فصوص الحكم) إذ يقول (إنَّ امرأة فرعون ـ وكانت مُنطقةً بالنطق الإلهي ـ قالت لفرعون في حقّ موسى : إنّه (**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ**)فقرّة عينها بالكمال ـ حيث تكلّم الحقّ بلسانها ـ وكان قرّة عين فرعون بالإيمان الذي أعطاه الله له عند الغرق, فقبضه طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخبث؛ لأنّه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام , والإسلام يجبّ ما قبله , وجعله آيةً على عنايته سبحانه بمن شاء , حتّى لا ييأس أحد من رحمة الله . فلو كان فرعون ممّن ييأس , ما بادر إلى الإيمان ,فكان موسى (عليه السلام) كما قالت امرأة فرعون فيه((**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ولَكَ لا تقتلُوهُ عَسى أن ينفعنا)) وكذلك وقع ,فإنَّ الله نفعهما به**)(36).

فالمغالطة التي استعملها ابن عربي واضحة العيان , وهو يخالف كلام الله عز وجلّ . قال تعالى **(الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكنتَ من المُفسدِين)**[يونس 91].

هـ ـ القياس الخطأ

يمكن أن يستثمر القياس في وضع مقدمات كاذبة لبناء مغالطة , ومن ذلك القياس المستفاد من الآية الشريفة وهو((**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**))[الانفال23], فأنّه شكل أول ينتج بعد اسقاط المتكرر نتيجة كاذبة وهي لو علم الله فيهم خيراً لتولوا. فإنَّ الانصراف عن الحق ينافي علم الله فيهم الخير . وجوابها ـ أنَّ هذا قياس شرطي مركب من متصلتين ومن شرط انتاجه أنْ تكون الكبرى لزومية إذا كانت الصغرى لزومية وفيما نحن فيه وإن كانت الصغرى لزومية ؛ لأنَّه يجب على الله من باب اللطف أن يُسمع من يعلم فيه الخير ولكن الكبرى اتفاقية فأنَّه بحسب الاتفاق أنَّ هؤلاء إذا أسمعهم الله يتولون من دون أن تكون ملازمة بين الأسماع والتولي إذ لو كانت ملازمة بينهما للزم أنْ يكون كل من أسمعه الله يتولى فلا يوجد مطيع في العالم وحتى الآن لم أجدْ من تعرض للجواب عن هذا القياس بهذا النحو وإنَّما أول بعضهم السّماع في الصغرى بالسماع القلبي , وفي الكبرى بالسماع اللفظي فيكون الحد الأوسط غير متكرر , وهو تأويل لا يساعده عليه الذوق (37).

و. مصادرة على المطلوب

مصادرة على المطلوب , وهو أن يقع الخلل في المقدمات بملاحظة النتيجة باعتبار أنّها عين إحدى المقدمات فحين نقول: (كل الناس ميتون، والدوق أوف ولنجتون إنسان، فالدوق أوف ولنجتون ميت" نفترض النتيجة في المقدمة الكبرى الحاكمة على "كل الناس" ولا يسوغ افتراضها وهي المطلوب, فإنها إما أن تكون معلومة قبل الكبرى وحينئذ فلا فائدة من تركيب القياس وتركيبه عمل صناعي بحت؛ وإمّا أن تكون مجهولة، وحينئذ يستحيل صوغ الكبرى لاستحالة التحقق من موت كل الناس إلا بالتحقق من موت كل فرد من الناس. فليس القياس استنتاج الجزئي من الكلي، ولا الكلي من الجزئي، ولكن استنتاج الجزئي من الجزئي، أي: استنتاج حالة معينة من حالة أخرى شبيهة بها؛ فحين نريد أن ندلل على أن الدوق أوف ولنجتون ميت، لا نفكر في كل الناس، وإنما نفكر فقط في الذين ماتوا قبله ونتخذ منهم مقدمة جزئية، وحينئذ لا يكون الاستدلال مصادرة من حيث إن الدوق غير متضمن فيها. فالقياس عبارة عن استقراء وليست النتيجة فيه "مستنبطة" من الكبرى ولكنها مكتسبة "وفقًا" للكبرى، ولو أن مل أنعم النظر لوجد أن القياس شيء مختلف عن هذا الاستنتاج بالمشابهة والمماثلة)(38).

ومن أمثلة المغالطة في القراءات التأويلية المشكل الذي أثاره المحدثون في قراءة النبي للوحي , إذ إنَّ التعبير (بأن قراءة النبي ـ للقرآن ـ لحظة الوحي مصادرة على المطلوب ؛ذلك أنَّ (القرآن) لم ينزل كنص على الرّسول , وأن قراءة الرسول له كانت هكذا , وهذا الكلام إضافة إلى كونه مصادرة ودعوى بلا دليل , بل هو أول الكلام , ويستبطن : أنَّ لي أيضاً أن أقرأ القرآن , وعلى قدم المساوة مع الرسول, ولا تمتلك قراءة الرسول للقرآن (الحجيّة) على الآخرين ؛ لأنّها متأطرة بأفقه المعرفي وخلفياته النفسية (39).

وهذا يستلزم : أنَّ كل مفكر يكون في (عرض) النبي لا في (طوله) , وأنّ قراءة النبي حجة له وعليه فقط ,وليست حجة لي ولا عليّ, بل قراءتي حجة لي وعليّ فقط, وما الذي يبقى من الإسلام بعد ذلك ؟

ونجد مغالطة الدكتور عبد الكريم سروش في نظريته (بسط التجربة النبوية) حين يقول: (إنَّ الوحي (إلهام) , وهو التجربة التي يخوضها الشعراء والعرفاء , وإن كان النبي يخوضها بدرجة أرفع وأسمى . في العصر المتطور يمكننا فهم الوحي من خلال الاستعارة الشعرية , كما قال أحد الفلاسفة المسلمين : الوحي أسمى درجات الشعر. إنّ الشعر أداة معرفية تختلف في وظيفتها عن العلم والفلسفة , فالشاعر يتصور أن مصدراً خارجياً يلهمه, وإن الشاعرية استعداد وقريحة , مثل الوحي تماماً , فيمكن للشاعر أن يفتح آفاقاً جديدةً أمام الناس , وأن يريهم العالم من زاوية أخرى)(40).

ويمكن دفع ذلك التصور من ثلاثة أنحاء:

النحو الأول: سؤال في غاية الأهمية . هل الوحي والتجارب العرفانية والتجارب الشعرية ذات معنى واحد؟

النحو الثاني: يمكن أن تجهض مغالطة الدكتور شروش من وجهين :

الوجه الأول: لقد أنكر القرآن هذه التهمة بشدة , حين قال: ((**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**))[الصافات 36], وقال((**وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ**))[الحاقة 41].

الوجه الثاني: ومن الغريب أن يستشهد الدكتور سروش لفهم ظاهرة الوحي بقوله تعالى **((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ))**[الأنعام121], وهي مغالطة مكشوفة فللوحي تعدد المعاني اللغوية واضح لمن تتبع لسان العرب .

النحو الثالث:الخلط بين المفاهيم اللغوية وأسس انطباق الألفاظ على المعاني وتجاوز حدود البرهان والخطابة والشعر والجدل والتشبيه وعد رعاية الحدود والتعاريف لهو حجة أهل السفسطة والجدليين .

الخاتمة

بعد أن عرض البحث مسألة المغالطة في القراءات التأويلية للنص القرآني , خرج بالنتائج الآتية :

- كانت للمغالطة محلٌ في تأسيس تجليات للتأويل بحسب المعنى, يدلُّ على ذلك النصوص التي حفل بها البحث.
- ردَّ البحث على بعض المغالطات في تراث الأشاعرة والمعتزلة .
- ردَّ البحث على مغالطة الدكتور عبد الكريم سروش في قراءة قضية الوحي .

الهوامش

1- ينظر: أصول الفلسفة , السّيد محمد حسين الطباطبائي : 81

2- الُكليّات :لأبي البقاء الكفويّ: 716.

3- ينظر: الشمسية في القواعد المنطقية , نجم الدّين القزويني: 195.

4- ينظر: الشمسية في القواعد المنطقية : 195.

5- ينظر: ميزان الفكر, د. أيمن المصري:106.

6- ينظر: الشمسية في القواعد المنطقية :196.

7- ينظر : ميزان الفكر , د. أيمن المصري : 106.

8- مُسند الشهاب: 107/1.

9- ينظر : ميزان الفكر , د. أيمن المصري: 110.

10-وفيات الأعيان : 3/ 141.

11-ينظر : ميزان الفكر:107.

12- ينظر: المُقرّر في شرح منطق المظفر: 3/ 688.

13- ينظر: المُقرّر في شرح منطق المظفر: 669/3.

14- ينظر: ميزان الفكر: 107.

15- ينظر : الدليل اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة : 357.

16- ينظر : أصول التفكير النحوي: د. علي أبو المكارم : 300.

17- الخصائص , ابن جني: 413/2.

18- الانتصاف على حاشية الكشاف : 3/ 260.

19- الانتصاف على حاشية الكشاف : 3/ 260

20- ينظر: المُغالطات المنطقية : د. عادل مصطفى : 127.

21- الحِجاج والمُغالطة : د. رشيد الراضي: 44.

22- ينظر : تفسير البيضاوي:210/7.

23- حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي :210/7.

24- مغالطة الممارة : وهي ما تكون المغالطة في نفس تركيب الألفاظ وذلك فيما إذا لم يكن اشتراك في نفس الألفاظ ولا اشتباه فيها , ولكن بتركيبها وتأليفها يحصل الاشتراك والاشتباه. ينظر : المقرّر في شرح منطق المظفر: 662/3.

25- ينظر: تأويلات أهل السنة : أبو منصور الماتريدي: 42.

26- الانتصاف على حاشية الكشاف : 1/ 48.

27- الكشاف: 48/1.

28- الانتصاف على حاشية الكشاف: 48/1.

29- ينظر الدلالة اللغوية عند العرب :د.عبد الكريم مجاهد:112.

30- الإبانة عن أصول الديانة , للأشعري:25-26

31- ينظر : تفسير المنار : 11/ 128.

32- ينظر : الإبانة عن أصول الديانة ,للأشعري: 25.

33- ينظر: التمهيد في علوم القرآن ,الشيخ محمد هادي معرفة :97/3.

34- الكشاف :622/4.

35- ينظر :الكشاف:649/4.

36- فصوص الحكم, ابن عربي:452-453.

37- ينظر: نقد الآراء المنطقية : الشيخ علي آل كاشف الغطاء: 573/2.

38- تأريخ الفلسفة الحديثة . د. يوسف كرم : 124.

39- نقد الهرمنيوطيقا, السيد مرتضى الحسيني الشيرازي: 286.

40- بسط التجربة النبوية , د. عبد الكريم سروش : 65.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- الإبانة عن أصول الديانة , لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(330هـ), تحقيق : د. فوقية حسين محمود , ط1, دار الأنصار , القاهرة ـ مصر , 1397هـ, 1977م.

3- أصول التفكير النحوي , د. علي أبو المكارم , ط1, الناشر: دار غريب ـ القاهرة ـ مصر , 2006م.

4- أصول الفلسفة ,السَّيد محمد حسين الطّباطبائي(1406هـ), نقله للعربية :الشيخ جعفر سبحاني , ط3, مؤسّسة الإمام الصادق (عليه السلام) , قم ـ إيران , 1426هـ.

5- بسط التجربة النبوية , د. عبد الكريم سروش, دار الفكر الجديدـ النجف . 2007م .

6- تاريخ الفلسفة الحديثة , د. يوسف كرم, دار العلم ـ بيروت ـ لبنان, 1989.

7- تأويلات أهل السنة , أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (ت 333هـ)تحقيق : محمد مستفيض الرحمن ط1,مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ العراق , 1404هـ, 1983.

8- التمهيد في علوم القرآن , الشيخ محمد مهدي معرفة , مطبعة سنارة , قم - إيران . 1389هـ.

9- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي) : شهاب الدِّين أحمد بن محمد الخفاجي (ت 1069هـ) , تحقيق: عبد الرزاق المهدي , ط1, دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان , 1417هـ, 1997م.

10–الحِجاج والمُغالطة : من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار , د. رشيد الراضي , ط1, دار الكتاب الجديد , بيروت – لبنان , 2010م.

11–الخصائص , لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) , تحقيق: محمد علي النجار, ط2, دار الكتب ـ بيروت ـ لبنان, (د.ت).

12– الدلالة اللغوية عند العرب, د. عبد الكريم مجاهد ,ط1, دار ضياء للنشر والتوزيع , عمان ـ الأردن . 1985م.

13– الدليل اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة , د. جمال حسين أمين , ط1, مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ـ القاهرة ـ مصر , 1433هـ, 2012م.

14– الشّمسية في القواعد المنطقية , نجم الدِّين القزويني (493هـ) , تحقيق : د. مهدي فضل الله , ط1, المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ 1998م.

15– فصوص الحكم, محيي الدين ابن عربي(ت638هـ) , دار الحديث, القاهرة ـ مصر ـ 1399هـ.

16– الكشاف , جار الله الزمخشري(ت538هـ) , ومعه الانتصاف من الكشاف للاسكندري , دار إحياء التراث العربي, بيروت ـ لبنان , 1367هـ.

17– الكُلّيّات , معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , لأبي البقاء أيّوب بن موسى الحُسيني الكفويّ (ت 1094هـ) , ط1, منشورات ذوي القربي , قم ـ إيران , 1433هـ.

18– مُسند الشهاب , لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت454هـ), تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي, ط2, مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ,1407هـ ـ 1986م.

19– المغالطات المنطقية , عادل مصطفى , ط1, المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ـ مصر , 2007م.

20– المقرّر في شرح منطق المُظفر, السيد رائد الحيدري, سلمان زاده, قم ـ إيران , 1433هـ.

21– ميزان الفكر , د. أيمن المصري, ط1, الأكاديمية العقلية , قم ـ إيران , 1432هـ ـ 2011م.

22– نقد الآراء المنطقية وحل مشكلاتها , الشيخ علي كاشف الغطاء, ط1, مؤسسة النعمان ـ بيروت ـ لبنان 1411هـ ـ 1991م.

23– نقد الهرمينوطيقا ونسبية الحقيقة والمعرفة , السيد مرتضى الحسيني الشيرازي, ط1, دار العلوم , بيروت ـ لبنان , 1434هـ, 2013م.

24- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان(ت681هـ), تحقيق:د. إحسان عباس , دار صادر- بيروت - لبنان, 1971م.

ملخص بحث

المُغالطة في القراءات التّأويليّة للنّص القرآني

المدرس الدّكتور

جاسم فريح دايخ

الكليّة الإسلاميّة الجامعة – النجف

إنّ علم التّأويل نشأ نتيجة الصّراعات الحادّة بين المسلمين في مسألة الإمامة , ومنها تفرّعت الخلافات حول مسائل كثيرة , كان مجمل تلك المسائل ينبعث من إمكان الوقُوف عند النّص الدِّيني , أم بما يخالف ذلك الباطن باستعمال التأويل .

وكان القرآن الكريم التّطبيق العملي لتلك الرّؤى وساحة للصّراع الفكري بين أنصار ظاهر اللفظ وأنصار جواز التّأويل ,وما ترتَّب عن ذلك من صراع عقيدي فيما بين المسلمين, وكان مبعثه الخلفيّة السّياسيّة المُتعصِّبة , ممّا اضطرَّ البعض إلى المُغالطة والتّحريف , اللّذين أفادا من علمي الكلام والجدل في الرأي , وقد تكون تلك المغالطة بقصد أو بغير قصد , وهو في كلتا الحالتين خلل وعيب يزري بالفاعلية الحِجَاجيّة والاستدلالية , فمن المناسب الإحاطة بمظاهر المغالطة حتى يؤمن العِثار وتحديد مراكز الغلط في التفكير ولاسيما إذا كان مجال هذا الاستدلال في قراءة النص الديني , ركز البحث على أساليب المغالطة وآليات تشكلها منطلقاً من أدبيات الكتابة المنطقية في هذا الخصوص, تحاول هذه الدراسة استقصاء مظاهر المغالطة في قراءة النص القرآني عن طريق الملمس التأويلي الذي يمثل أرض خصبة لاستعمال الحجاج المُغالطي

ملخص اللغة الانكليزية

The hermeneutics arose as a result of the sharp .conflicts between Muslims in the issue of Imamate, including branched out differences on many issues, it was all those issues emanating from the possibility of standing at the religious text, or in contravention of the subconscious using interpretation, leading to differing views uneven, and those problems: the issue of self-worth, and attributes, algebra and choice, hearing and mind, Koran and the practical application of those visions and an arena of conflict intellectual between .and others supporters of Zahir pronunciation and supporters passport interpretation, and the ensuing from that of doctrinal conflict among Muslims, and it was the political background fanatic motivated, forcing many to fallacy and distortion, which benefited from a scientific speech and debate in Opinion , such chicanery may be intentionally or unintentionally, which in both cases the defect and defect laser efficiency orbital and deductive